

# التطبيع «ثمرة» محرمة على خصوم الإخوان ومباحة لأصدقائهم

## نضالية وهمية هدفها التكسب السياسي على حساب الفلسطينيين



جمال تركي لا يرى سنامه

غير أن عبارة "عزيزي وصديقي العظيم" التي كتبها محمد مرسي في ديباجة رسالته إلى "صاحب الفخامة السيد شمعون بيريز رئيس دولة إسرائيل"، لإعلامه باسم المرشح لشغل منصب سفير مصر لدى إسرائيل، قطعت الشك باليقين وأثبتت للمرة الأخيرة أن برفعونها رفضا للسلام مع إسرائيل ولتطبيع العلاقات معها، لم تكن أكثر من وسيلة لدغدغة المشاعر واستمالة الجماهير في عملية السعي للوصول إلى السلطة.



إيلي أفيدار

المكتب التجاري  
الإسرائيلي في الدوحة  
كان بمثابة سفارة

لعبه دغدغة المشاعر الدينية والقومية باستخدام القضية الفلسطينية التي يجيدها الإخوان تتضلع فيها أيضا باقي الأحزاب والمليشيات الشيعية المرتبطة بإيران، والتي وجدت في تطبيع العلاقات الإماراتية الإسرائيلية، فرصة لمحاولة استمالة الشارع في عدد من البلدان العربية في أوج نفوره منها وغضبه عليها بفعل ما جرته على شعوب تلك البلدان من ويلات وماس، وهو ما ينطبق على العراق الذي تغلي مدن جنوبه ووسطه منذ خريف العام الماضي غضبا على نظام الأحزاب الدينية والطائفية، وما ينطبق على لبنان المختطف من قبل حزب الله والمهدد بـ"الاختفاء" وفق عبارة وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان، مثلما ينطبق أيضا على اليمن الذي أغرقته ميليشيا الحوثي في حرب جعلت منه موطنًا لكبرى كارثة إنسانية في العالم.

ومن المفارقات أن التيارات والأحزاب الإسلامية التي أحدثت كل ذلك الدمار في البلدان العربية، هي من ترفع شعار مواجهة إسرائيل ومقاومتها، دافعا عن القضية الفلسطينية التي تحولت إلى تفصيل في زحمة القضايا العربية المستجدة، بحيث يمكن الحديث عن القضية العراقية والسورية واللبنانية والسودانية والصومالية واليمنية والأخزاب والتيارات الإسلامية في تجريحها.

التي تحدث من حين لآخر بين الجيش الإسرائيلي والجناح العسكري لحماس، وضامنا لتثبيت ما يتم التوصل إليه من اتفاقات على التهدئة. ولا يجهل قادة الإخوان أن ما تقوم به قطر في غزة يُسدي خدمة كبيرة لإسرائيل عبر تكريس الانقسام الفلسطيني ومساعدة تل أبيب على إدارة ملف قطاع غزة الذي اختارت سنة 2005 الانسحاب منه في إطار خطة رئيس الوزراء الأسبق أريال شارون المعروفة بخطة فك الارتباط، ومع ذلك يفسح الإخوان المجال لقطر للتمادي في القيام بهذا الدور المعقد لأنه يحقق لهم مصلحة فئوية مباشرة، وإن على حساب القضية الفلسطينية الأشمل.

ولم يكن كشف العلاقات الوثيقة بين قطر وإسرائيل يحتاج لأكثر من سؤال: ما الذي يجعل الدوحة وسيطا موثوقا به من قبل تل أبيب وممولا مقبولا لحماس رغم إمكانية أن يردت المال القطري على إسرائيل ذاتها.

مثل هذا السؤال لا يبريد الإخوان المسلمون طرحه، لأنه يقود ببساطة إلى حقيقة أن قطر ضالعة في التطبيع منذ سنوات طويلة، لكنه تطبيع حلال ما دام ممارسه حليفا وممولا، على عكس التطبيع الجرام الذي ينخرط فيه الخصوم. فهل حقاً يرفض الإخوان من حيث المبدأ تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

كشف المستور

حين سقط نظام الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في مطلع العشرية الحالية وصعدت جماعة الإخوان ممثلة بمحمد مرسي إلى سدة الحكم، ذهب في ظل الملايين من البسطاء عربا ومصريين، بما في ذلك قواعد الجماعة، أن الحكام الجدد "المثقفين" سيبادرون إلى الانسحاب من معاهدة كامب ديفيد للسلام مع إسرائيل والتي وقعها أنور السادات سنة 1979 وقيل بسببها على يد أحد الإسلاميين، لأنها بحسب ما هو منصوص عليه وموثق في أدبيات الجماعة مجرد "استسلام"، ولأنها "سحبت مصر من الصراع وأطلقت يد إسرائيل لتعربد كما تشاء في المنطقة.. وأضعفت المقاومة الفلسطينية، ووضعت سيناء رهينة دائمة في يد إسرائيل بحيث تستطيع أن تعيد احتلالها في أي وقت تشاء".

الوقت تصوير الدوحة كمساند لـ"محور المقاومة" ونصير للقضية الفلسطينية التي كثيرا ما مثلت أفضل أداة لمخاطبة وجدان رجل الشارع العربي ودغدغة مشاعره القومية والدينية. ولم تكن قطر لتنجح في ممارسة تلك اللعبة المزوجة طيلة هذه السنوات دون تواطؤ الإخوان المسلمين ممثلين بحركة حماس المسيطرة على قطاع غزة، حيث أصبحت حقائق المال القطري التي تدخل إلى القطاع عبر إسرائيل نفسها وبموافقة تل أبيب، عاملا أساسيا في صياغة المشهد السياسي والعسكري هناك، ووقودا لتكريس انفصال غزة إداريا وسياسيا عن باقي الأراضي الفلسطينية، ووسيلة لفض الاشتباكات

وتظل تفاصيل السبق القطري إلى التطبيع مع إسرائيل كثيرة، من التطبيع الإعلامي وفتح قناة الجزيرة القطرية أمام الإسرائيليين للوصول إلى المشاهد العربي ومخاطبته بشكل مباشر، إلى تبادل الزيارات غير المعلنة بين كبار المسؤولين من البلدين إلى استقبال الوفود الرياضية الإسرائيلية في قطر، لكن الاستثنائي في كل ذلك هو الدور المزوج الذي ظل النظام القطري يمارسه، سعيا لتحقيق معادلة تكسب صداقة إسرائيل كأحد مفاتيح توثيق التحالف مع الولايات المتحدة والحصول على ثقتها ورضاها، وفي نفس

الصراخ التركية ضد تطبيع العلاقات الإماراتية الإسرائيلية، تماما مثلما يتجاهلون حقيقة أن داعمتهم وحاضنتهم الثانية قطر كانت سبباقة لإقامة علاقات سرية قوية مع إسرائيل منذ عقد التسعينات حين تم فتح مكتب التمثيل التجاري الإسرائيلي في الدوحة والذي كانت أنشطته أوسع بكثير من مجال التجارة وامتدت إلى المجالات السياسية والأمنية حتى أن إيلي أفيدار الذي سبق له أن ترأس البعثة الإسرائيلية في قطر لسنتين وصف المكتب بأنه كان يقوم مقام سفارة رغم رضا تل أبيب بالشرط القطري بعدم رفع العلم الإسرائيلي فوق مقره أو وضع لافتة على واجهته، ما دام يحقق المصلحة المرجوة منه.

على قيامها في نهاية أربعينات القرن الماضي، لا تحتفظ بعلاقات تجارية واقتصادية معها قوامها حوالي ستة مليارات دولار سنويا ويجري العمل إلى رفعها إلى عشرة مليارات، بل إن تعاون الطرفين في مجال الصناعات العسكرية لا يتقدم عليه، من حيث الأهمية، سوى التعاون الإسرائيلي الأمريكي في هذا المجال، حيث تحتضن الأراضي التركية بعض أكبر مصانع سلاح الجيش الإسرائيلي، فضلا عن أن مجالها الجوي ومعسكرات جيشها مسرح مثالي لتدريب الطيارين وتقنيي سلاح الجو الإسرائيلي.

ومن المفارقات أن التعاون العسكري التركي الإسرائيلي شهد قفزة نوعية أعطته انطلاقة جديدة في بداية أول تجربة لحكم الإسلاميين في تركيا في أواسط عقد التسعينات من القرن الماضي في عهد حكومة نجم الدين أربكان، وذلك بإبرام أنقرة وتل أبيب اتفاقين عسكريين إحداهما في مجال التدريب والتمارين يتم السماح بموجبها للطيارين الحربيين الإسرائيليين باستخدام الأجواء والقواعد التركية أربع مرات في السنة في مقابل نقل إسرائيل بعضا من خبراتها وتكنولوجياها العسكرية المتطورة إلى الجانب التركي. أما الاتفاقية الثانية فنصت على تبادل زيارات الوفود العسكرية والتعاون في مكافحة الإرهاب وأمن الحدود والتعاون الجوي والبحري.

وفي 2008 عندما كان الطيران الإسرائيلي يبدد قطاع غزة في عملية الرصاص المصبوب التي خلفت المئات من القتلى والجرحى في صفوف سكان القطاع، جلب انتباه أحد مراسلي القنوات الفضائية الدولية الحماس التركي الشديد في إدانة العملية ناشد العبارات والنعت، فعلق مستغربا "لا أكاد أفهم موقف تركيا.. أظن أنها أحد مصادر الرصاص الذي يصب على غزة، لكنني متأكد أن الطيارين تدرّبوا على صبه في تركيا ذاتها".

عندما تبارت جماعة الإخوان المسلمين بمختلف فروعها المحلية في البلدان العربية مع الأحزاب والمليشيات الشيعية في العراق ولبنان واليمن في "رفض وشجب وإدانة" خطوات التطبيع بين الإمارات وإسرائيل بـ"أشد العبارات" لم تكن تلك التشكيلات الإسلامية إلا بصدد التسابق والتنافس على استخدام أداة قديمة من أدوات التسويق السياسي والأيديولوجي وهي القضية الفلسطينية التي مثلت طيلة عشرات من الزمن وسيلة فعالة لاستمالة شرائح واسعة من الجماهير العربية والإسلامية نظرا لجمعها بين الدين الإنساني والديني برمزية مقدساتها ومعالمها الإسلامية فضلا عن السجحية.

سبق وريادة

فترة حكم الإخوان القصيرة  
في مصر أظهرت حرصهم  
على الحفاظ على العلاقات  
المصرية الإسرائيلية  
واستعدادهم لتتميتها

ويأتي على رأس تلك التناقضات ارتباط أبرز منغمي مناهضة تطبيع العلاقات مع إسرائيل بقوى وبلدان "رائدة" في مجاله وسبباقة إليه، وهو ما ينطبق بشكل واضح على جماعة الإخوان المسلمين التي وجهت مختلف فروعها سهام نقدها للإمارات بعد أن ظلت لفترة طويلة تغض الطرف عن تركيا وقطر اللتين قطعنا أشواطا كبيرة في التعاون والتواصل والتنسيق مع إسرائيل، مع فارق أن أنقرة تضع علاقاتها الواسعة مع تل أبيب ضمن إطار رسمي معلن، بينما تتكتم الدوحة على تلك العلاقات لأسباب تتفهمها وتقبل بها تل أبيب نفسها وحتى حليفها واشنطن، ما دامتا تضمنان كم المصالح ذاته في حال ترسيم العلاقات أو عدمه.

ولا يجهل الإخوان وهم يرفعون أصواتهم ضد تطبيع العلاقات مع إسرائيل حقيقة أن تركيا التي تحولت خلال السنوات الأخيرة إلى حاضنة رئيسية لهم وفتحت أبوابها لاحتضانهم واستقبال عناصرهم الفارة من بلدانها الأصلية، طورت على مدى العقود الماضية، بما في ذلك خلال فترة حكم حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان علاقاتها مع إسرائيل وارتقت بها إلى مرتبة التعاون الاستراتيجي في مختلف المجالات بما في ذلك مجالي الأمن والدفاع.

فتركيا التي كانت في مقدمة الدول التي اعترفت بإسرائيل وأقامت معها علاقات رسمية قبل انقضاء السنة الأولى

اللعبة المزوجة

من المؤكد أن الإخوان المسلمين لا يجهلون مختلف تلك الحقائق بل يتجاهلونها وهم ينخرطون في حملة

